الاحتفال بالسيرة النبوية.

الحمد لله حَقَّ حَمْدِه، وما من نعمةٍ إلا من عندِه.

والصلاةُ والسلامُ، على رسول الله، وعلى آله وصَحبه ومَن وَالاَه. بعثَهُ الله رحمةً للعالمين، مبشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنهِ وسراجًا منيرًا. فهدَى الله بهِ الأمَّةَ وكشَفَ بهِ الغُمَّة.

أما بعدُ:

فالمُناسبةُ في شهر ربيع الأول، مِن أفضل المناسبات، مناسبةُ ذِكرى مولدِ نبيناﷺ. والأفضل ألا نَربط الاحتفال بيوم واحد، يوم الثاني عشر، بل بِأيام الشهر كلِّه، الذي تَحَقق فيه المولْد النبوي الشّريف.

كما أنه احتفال، يُستحسن أن يكون حتى عند إحياء ليلته المشهورة، بأنواع من العِبادات والقُربات، كتلاوةِ القرآن والسيرة النبوية والأذكار، وكإطعام الناس الطعام. ولا بأس أبدا، بالاحتفال

أيضا بكل المُباحات، كالأشعار والمَدائح، وكَولائِم الفرح وملابس الزينة وملاعِب الأطفال، بل يُستحسن كذلك، شريطة رَبْطِه بسَيد الأنام وتَفادي أيِّ ضرر كان.

ونخُص بالذِّكر، إحدى أفضلِ وسائل الاحتفال بالمولد النبوي، التي كانت شائعة في السابق، إلا أنها قلّت في هذا الزمان. إنها قراءةُ ودراسة السيرة النبوية، التي غالبا ما لا نَطَّلع عليها، رغم أننا في أمَس الحاجة لاستيعابها.

فالسّيرة لُغة: هي السُّنّة والطريقة والحالة التي يكون عليها غالبا أحدُ الأفراد. أما اصطلاحا، فالسيرة تَعني قِصّةَ حياة فَرْد وتاريخَها إجماليا أو تفصيليا. فكانت سيرةُ شخص، هي تاريخُ حَياته، حتى اشتهرت بالسيرة الذاتية. وكانت السيرة النبوية، هي مجموعُ ما وَرد من وقائع حياة النبيﷺ وصِفاته الخُلقية والخَلقية، وغزواتِه وسَراياه.

إن علم السيرة النبوية، صار من أَجَل العلوم الشرعية، لأنه يتمحور حول كلِّ أخبارِ الرسول الخاتَمﷺ، قبلَ وبعد البعثة، وأحوالِه وزوجاتِه وآلِ بيته وبِعثتِه وهِجرتِه وغَزواتِه وأصحابِه وسَفاراتِه والوفودِ التي قدِمت عليه، ثم وفاتِهﷺ.

لهذا، اهتم المسلمون قديماً وحديثا، بسيرة رَسولهمﷺ، باعتبارها المنهجَ العَمَلي للإسلام. وألّف العلماء، مؤلفات عديدة وجامعة فيها. فكان الاهتمامُ بها، منذ بداية التدوين، نَظْماً ونثْراً. وكان للمغاربة حظُّهم بين كُتّابها، للتأليف إجماليا كما في مؤلفات المشارقة الأوائل، كسيرة إبن إسحاق وإبن هشام، أو إفراديا كما في مؤلفات تناولت فقط مولد النبيﷺ.

لكنّ كتابين هما أشهرُ كُتب المغاربة، التي أُلفت عن رسول اللهﷺ وعن سيرته العطِرة:

1. كتاب "الشِّفا بتعريف حقوق المصطفىﷺ"، للقاضي أبي

الفضل عياض، المتوفى في مراكش سنة 544هـ. والذي اشتهر بين الناس، حتى كان من أكثر ما يُقرأ في مناسبة المولد.

2. كتاب "الرَّوض الأُنُف" في تفسير السيرة النبوية لابن هشام"، لابن القاسم السُّهيلي المتوفى في مراكش سنة 581هـ.

وللاستِزادة في العِلم، هناك عدة مُؤلَّفات حديثة، مثل كتاب "المُصنفات المغربية في السيرة النبوية ومُصنفوها" لمحمد يَسّف رئيس المجلس العلمي الأعلى في المغرب.

فرغم السّبق الذي كان لعلماء المَشرق القدامى في مباحث السيرة النبوية، كأبي بكر بن محمد بنِ إسحاق، في المغازي والسِّير، وابنِ سعد في طَبقاته، وابنِ هشام في تهذيبه لسيرة ابن إسحاق؛ فقد كان لِعلماء المغرب إسهامُهم المتميز، ومنهجُهم المتفرد في الشمائل النبوية والخصائص المُصطفوية.

وعند الجميع، فقد كان القرآن بقطعيته، في مقدمة مصادر السيرة، حيث يتضمن وصفاً للعديد من الأحداث والغزوات.

وتَلِيه كُتُب الحديث، بتفاصيلها في حياة النبيﷺ. فامتازت بأنها أوثقُ رواةً وأَدَق متوناً، من كُتب السيرة المتخصصة، لأن هذه تَجمَع كل الأخبار في سيرة المصطفى المُختار، في حين أن المُحَدثين يُركزون أكثر على أحاديث الأحكام.

كما أن السيرة النبوية، تؤخذ من كُتب أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ في القرآن، وكُتب التفسير.

ولا ننسى هنا، أهمية كُتب الدلائل والشمائل النبوية.

فالحمدُ لله الذي هدانا، وما كُنَّا لنَهتديَ لولا أنْ هدانا الله. والفضلُ بعد الله تعالى، لرسولهﷺ، الذي هدانا للصواب. فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هُدى محمدﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

جَعلنا الله جميعا، مع أفضل أتباع رسولهﷺ، الذين يأخذون العِلم من مصادره. ووَفقنا الله جميعا، لاتباع سيرة رسوله في ذكرى مولدهﷺ. آمين، يا رب العالمين.